Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المستغرقة فى تعذيب الذات وأحلامها الكسيرة وآمالها الخائبة ، لانها تمد جسورا بين الفرد والجماعة ، وتبكى ، حين تبكى ذاتها ، ثقافة وحضارة ووطنا تراه يتمزق وينهار ، وتردد على أوتار أساها وحزنها لحنا بسيطا يؤكد مع ذلك أن الانهيار ليس قدرا غيبيا أعمى ولا حتمية تاريخية أو غير تاريخية ، وانما هو محنة تتحدى الارادة الفردية والجماعية وتحفزها الى قهرها وتخطيها · بهذا يجتمع فيها الحزن والصلابة ، ويتحد الأسى مع ارادة تجاوزه ، وعقيدتى التى اقتنعت بها ودعمتها التجربة والتأمل أن الانسان هو الكائن الوحيد القادر على العلو على ذاته · وشد نفسه من المستنقع بنفسه · والتاريخ وفسلفته يعلماننا أن ما يصدق على الفرد يصدق على الجماعة . وما انهارت الحضارات البائدة بفعل قدر غامض أو لعنة مجهولة ، وانما انتحرت بيد أبنائها عندما أكلوا لحم بعضهم ، واستسلموا للفراغ والدعة والترف ومهادنة الأعداء ، وفشلوا فى ايجاد الاستجابات الخلاقة الممكنة للتحديات التى واجهتهم · وخنقوا روح الابداع والتحرر والتجدد بالتسلط والارهاب والاضطهاد (ابن خلدون وفيكو وتوينبى) واذا وجدنا أحد أفراد الجماعة قد غرق فى بحار الأسى ، فان غرقه يجب أن يكون آية ودرسا ، وأن يجدد العزم على الصمود والمقاومة ·

لكننى أعيش فى حضارة تجمع كل الآراء الشعبية والموضوعية على أنها حضارة مأزومة · واذا صورت لى الحساسية المتطرفة انها تحتضر وتلفظ آخر أنفاسها ، ألا يحق لى عندئذ أن أسمعها لحنا جنائزيا يزعجها من رقدتها ويثير فيها ارادة الميلاد والبدء من الصفر ؟ ألا تستحق هذه اللحظة ـ على حدود تاريخ يغيب وتاريخ آخر لم تبزغ شمسه ـ أن يكون لها مغنيها الباكى أو شاهدها الحزين أو بومتها المكتئبة التى تحدق فى ظلام الكارثة الزاحفة فتنعق وتحذر ؟ أليس هذا فى النهاية مبررا كافيا لترديد هذه البكائيات ؟

٤ ـ لم البكاء وما معنى رثاء الذات فى زمن العلم الذى يهيب بنا أن نكون علميين وأن نشارك فى حضارة العلم والمنهج بكل ما نستطيع ؟ ان ايمانى بالعلم لم يفتر لحظة من حياتى المنتجة الفاعلة ، وما زلت أشارك فيه على قدر جهدى · لكننى أجيب على السؤال فيما يخص الأدب فأقول اننى شعرت منذ أن بدأت الكتابة بأن الأدب كله فى النهاية مرثية طويلة يبكى فيها الانسان نفسه وسوء حظه واخفاق جهده وتعبه على الأرض · ولا شك أن النظرة الى الأدب الانسانى على أنه سجل للاخفاق المستمر الذى